

أصحاب العمق التدبري دراسة تفسيرية في منهج أولي الألباب

Those with profound contemplative insight
An Exegetical Study on the Methodology of Ulu al-Albab

المدرس الدكتور حسن محمد عبدالحضر
مديرية التربية في محافظة النجف الأشرف

A research paper presented by
Lecturer Dr. Hasan Mohammed Abdulkhadr
Directorate of Education in Al-Najaf Al-Ashraf Governorate
love2quran@gmail.com

الملخص:
البحث الموسوم بـ(أصحاب العمق التدبري- دراسة تفسيرية في منهج أولي الألباب) يشكل محطة مهمة في الكشف القرآني، حيث يجب عن سؤال مهم: ما منهج من يصفون بعمق التدبر وما أثره في المجتمع؟ ونجد القرآن يعرض تلك الفئة السامية، وإشاراتة حولهم حفزت الباحث عن كشف أحوالهم وبيان منهجهم وأثرهم. فسعت لتوظيف هدف القرآن في هذا الموضوع المهم لتعزيز التطور الفكري والعملية لدى الناس، وأن يتخذوه نموذجا يرتقون به، متخلين عن الخذلان الداخلي والعشوائية العملية للبحث عن تسامي فكري وعملي. اعتمدت في البحث على المنهج الوصفي التحليلي، وكانت من نتائجه أن القرآن أشار لنماذج متعددة، ومع تنوع جوانبها، فهي للخير أم للشر، ولا بد لنا الالتزام بما يحقق نجاتنا. وأن (أولوا الألباب) صنف يجب تعميمه على الناس، وإهمال العمل بهذا الأسلوب الحياتي يحرمننا منافع كثيرة. ثم أن التدبر يمكن تطبيقه في جوانب شتى في حياتنا، لكن أفضليته في مسائل الهداية

flective tools adapted to each era.

Keywords: Qur'anic contemplation, Ulul Albab, spiritual guidance, tool development, daily life.

المقدمة:

التدبر القرآني من المواضيع ذات المكانة الرفيعة في منظومة الهداية الإلهية، حيث يجدر بنا فهم دور القرآن الكريم بعدم اقتصاره التلاوة والتبرك، بل يتجاوز ذلك باعتباره كتابًا للتفكير والتغيير. إذ تتجلى فئة (أولوا الألباب) باهتمام خاص في النص القرآني، لارتباط ذكرها -غالبًا- بسياقات معرفية وروحية عالية، واتصافها بعمق الفهم ورقي الوعي وجدارة التطبيق.

لذا فهذا البحث الموسوم بـ(أصحاب العمق التدبري - دراسة تفسيرية في منهج أولي الألباب)، يسعى لإثارة درب الناس ببيان ملامح هذه الفئة، وليتعرفوا على منهجها التدبري باستنطاق آيات الكتاب العزيز، لما لذلك من أهمية كبرى في كشف أثرها في تشكيل الوعي الفردي والمجتمعي، وتفعيل الدور الحضاري للتدبر في الواقع المعاصر.

حيث حاول البحث الإجابة عن سؤال مهم: ما منهج من يتصفون بعمق التدبر وما أثره في المجتمع؟

فكانت أهمية البحث في عرض إحدى الأساليب المهمة في معالجة كثير من المشكلات اليومية التي يمر بها الناس، متخذًا من جزئيات حياتهم مادة له

الدينية. ومع أنه متاح لجميع الناس -بل الأولى لهم العمل وفقه- يجدر بهم أن يطوروا أدواتهم التدبرية، فهي تتوسع بحسب إمكانيات كل عصر وثقافته. الكلمات المفتاحية: (التدبر القرآني)، (أولوا الألباب)، (الهداية الدينية)، (تطوير الأدوات)، (يوميات الناس).

Abstract:

The study titled "People of Deep Contemplation: An Interpretive Study on the Method of Ulul Albab" represents a key contribution to Qur'anic inquiry. It addresses the central question: What is the method of those endowed with deep reflection, and how does it affect society? The Qur'an introduces this elevated group—Ulul Albab—whose qualities and impact inspired this research. The aim is to align with the Qur'anic objective by promoting intellectual and practical advancement among people, encouraging them to follow this model in pursuit of inner clarity and purposeful living.

Using a descriptive-analytical method, the research finds that the Qur'an presents various models—both positive and negative—urging us to adopt what leads to salvation. The category of Ulul Albab should be extended to society, as neglecting this lifestyle deprives us of valuable benefits. Tadabbur (deep contemplation) is applicable across life domains, with its highest value in spiritual guidance. While accessible to all, it requires the continuous development of re-

ولابد من إلقاء نظرة على (أولي الأبواب) بحسب الآتي:

أ/ مجمل صفات (أولي الأبواب)

إن صفات هذه الفئة الراقية يمكن بيانها بوساطة الاستفادة من الآيات القرآنية التي تحدثت عنهم، فقد ورد مصطلح (أولو الأبواب) في القرآن الكريم في ستة عشر موضعاً، أذكرها مع بيان ركيزة كل صفة:

— العمل وفق القصاص العادل والمتمزن: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١).

— مداومة التقوى: ﴿وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٢).

— الوعي بأن الخير الوفير بإيتاء الحكمة: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٣).

— معرفة الراسخين والانقياد لهم: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٤).

— التأمل في الخلق: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٥).

— التقوى بعدم استواء الخبيث والطيب: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾^(٦).

— الاعتبار من القصص الحقّة: ﴿لَقَدْ

بعمق التفكير وربط العناصر بعضها ببعض، كي يتم إيجاد معالجاتٍ صائبةٍ ودقيقةٍ لحلّها.

مع ضرورة أن تكون قراءة المشكلة وحلّها وفق منهجٍ مرضيٍّ عند الله تعالى؛ كي يؤدّي ذلك لنتائجٍ صحيحةٍ وكسب الثواب الجزيل مع تحقيق رضاه سبحانه.

فحقق البحث -بتوفيقه تعالى- رسم المسار لبلوغ تلك الغايات وجعلها ممكنة، وفق العمل على منهج (أولي الأبواب) الذين ذكرهم القرآن الكريم وعرف بصفاتهم وأشاد بعملهم.

وقد قسم البحث إلى:

المطلب الأول: صفات أولي الأبواب وأهدافهم في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: ركائز منهج التدبر لدى (أولي الأبواب) وأجه تدبرهم.

المطلب الثالث: نحو تطبيق معاصرة على منهج (أولي الأبواب).

المطلب الأول: صفات (أولي الأبواب) وأهدافهم في القرآن الكريم

ذكر القرآن الكريم كثيراً من الفئات مدحاً وذمماً، إجازاً وتفصيلاً، وما يهمني في هذا البحث هو التعرف على (أولي الأبواب) الذين نالوا المكانة المرموقة بما قيّمهم الكتاب العزيز، وجعلهم نموذجاً يحتذى بهم؛ بما امتاز به منهجهم الذي يمكن عده أساساً يراود من جميع المسلمين ليتحصلوا خير الدنيا والآخرة، وسيمر بنا سبب ذلك في طيات هذه الصفحات،

كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾

التصديق بما أنزله الله: ﴿أَقْمَنَ يَعْلَمُ أَنَّمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٨﴾

التأمل في بلاغ الله: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٩﴾

التدبر في آيات القرآن: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿١٠﴾

الصبر في البلاء الصعب: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ﴿١١﴾

خشية الله واللجوء إليه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِثٌ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿١٢﴾

اتباع القول الحسن: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿١٣﴾

الاتعاظ في معاجز الله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مَصْفُورًا ثُمَّ يُجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ﴿١٤﴾

الاهتداء بطريق الله: ﴿وَلَقَدْ

آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ~ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ﴿١٥﴾

إتقاء عذاب الله وحسابه: ﴿وَكَايْنُنُ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَدَّ بَنَاهَا عَدَابًا نَكْرًا ~ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ~ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ ﴿١٦﴾

يتضح جليا أهمية الصفات السامية التي يتمتع بها (أولوا الألباب)، إلا أنه علينا الفهم الناضج لما يذكره غالب العلماء من أنهم هم أصحاب العقول^(١٧)، لا كما يتبادر عند عامة الناس من أنهم أولئك الذين يمتلكون عقولا قادرة على حل المعادلات الرياضية المعقدة^(١٨) وهكذا مما يعد من قبيل المهارات الإبداعية، وإنما أولئك هم أهل الدراية الحقة ومن يمتلكون فكراً وقادراً لإدارة حياتهم بما يجعلهم في خير الدنيا والآخرة.

ب/ أهداف (أولي الألباب)

بما لا ريب فيه فإن المتدبر يثير فكره الكثير من الأمور، فيستغرق النظر فيها، ويتخذ من تصوراته الأولى مجموعة من الانطباعات التي تؤدي إلى نتائج، أو مسائل بمستوى النتائج.

لذا بعد معرفتنا بخلاصة صفاتهم، يتبادر إلى أذهاننا السؤال الأهم: ما أهدافهم؟ وجوابه يفتح لنا نافذة حول الغايات التي يسعى إليها المتدبر، وما يطمح في تحقيقه من تدبره.

أنه خالق كل شيء ذو عدالة ورحمة. ولذا فإنهم توجهوا بعقولهم نحو الله تعالى، وسلموا له، وغادروا البلدة الظالم أهلها، وبذلك جعلهم الله تعالى آيةً عجيبَةً للناس تهديهم إلى الرشاد.

من هذا، نستحصل أن لو استقام المسلمون على تدبر القرآن والاهتداء به، لما فسدت أخلاقهم وتسافت آدابهم، ولما استبد حكامهم، ولما زال ملكهم وسلطانهم، ولما صاروا عالية في معاشهم وأسبابها على سواهم^(٣٦).

ثم علينا أن نستوثق «أن القرآن لا يفيد إلا من عمل به... ولا يعمل به سوى الذي يتدبر فيه فيفهم. بل أن التدبر في القرآن هي الوسيلة الوحيدة للعمل به»^(٣٧) ولا يمكن لمسلم أن يتعد عن كتاب الله تعالى، أو أن يقرأه بلا تدبر، فالواجب المناط به أن يعمل بما يتحصّله من آيات القرآن، فيثير بها دفائن نفسه، ويصورها على حياته، ويطور بها واقعه.

لكن بطبيعة الحال لا يكون هدف التدبر منحصرًا بالإيمان بالله تعالى، وإلا سيقال أنه في الأصل مؤمن، فما حاجته للتدبر؟ أو ما ينتفع به مع تحقيق هذا الهدف مسبقاً؟

الحق، أن ما بينتُه من إيمان (أصحاب الكهف) ليس الهدف الإيمان كما نفهمه اليوم، فكما يلحظ المتأمل في قصتهم، أنهم كانوا في بيئة كافرة - إن صح التعبير - وليس لديهم الوسائل المتاحة اليوم لدينا في المجتمعات المسلمة من الثقافة

أوضح إحدى أهداف المتدبرين المهمة، وذلك بتأمل قصة (أصحاب الكهف) التي ذكرها القرآن الكريم، وفصل - بقدر ما - جوانب منها، إذ تكشف أنهم بعد طول تدبر بلغوا الإيمان والتسليم، إذ استنتجت هذه الثلاثة المؤمنة من عليهم عبادته والإيمان به، إذ قالوا: ﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٣٩) ومقتضى هذا فإن هدفهم صار ﴿لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾^(٤٠) حيث يجعلهم بلا فكرٍ واعٍ فيوصلهم ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾^(٤١) وهذا ما رَسَخ في نفوسهم، لذا حينما استفاقوا، وأرادوا أن يبعثوا أحدهم إلى السوق، وكانوا يظنون أن الملك الجائر الكافر ما زال موجودا، فطلبوا ممن سيأتيهم بالطعام أن يتلطف ولا يشعر أتباع الملك بحاله، خوفاً أن يصلوا إليهم، ف﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾^(٤٢) فهناك أحد احتمالين: أما ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾^(٤٣) وهذا ينهي رغبتهم بنشر الإيمان الذي أنعم الله به عليهم بعد طول تدبر وجهاد. ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾^(٤٤) ما يجعلهم يضيعوا ما أنعم الله به عليهم ﴿وَلَنْ تَفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾^(٤٥).

فإن قال أحد: لِمَ نَعُدُّ (أصحاب الكهف) من المتدبرين؟ فالجواب: لأنهم تأملوا في واقع حياتهم، وتوصلوا من جمع قرائن كثيرة، وتحليلها، من أن الملك لا يمكن أن يكون إلها يُعبد، ولا أن يكون مُنصَّباً من قبل الإله، وما الظلم الذي يعيشه الناس والطبائع غير المستقيمة لدى هذا الملك وحاشيته مقبولة عند إلهٍ مقتدرٍ، يفترض

مكانة هذه الفئة السامية، وحثّ على اتباعها والعمل وفق عملها.

الثانية: للمدخلة المهمة التي يشكلها البناء الفكري والمنهجي لـ(أولي الألباب) في تقدم الواقع الحياتي لمن يفهم ذلك، ويسعى لتطبيقه على حياته الدينية والعملية.

على ذلك، تكون ركائز منهج التدبر لدى (أولي الألباب) هي:

الركيزة الأولى: الارتباط بالواقع

يرتبط التدبر بتفاصيل اليوميات، وبلحاظ حيثيات أولي الألباب القرآنية، ندرك أنّ تدبرهم يقتضي التعمق فيما يُشكل أساس عمل الناس وتفكيرهم، وليس في ثانويات أمورهم، حيث يتأمل المتدبر في ثنانيا الأمور وبواطنها، مع تحليل لجوانبها ومقدماتها ونتائجها، فيربط العناصر بعضها ببعض «إذ طبيعة التدبر الواعي والتفكير الجاد مصاحبة التأمل واليقظة والترصد»^(٢٨) وكلما كان المتدبر واقعيًا متجردًا من النزعات العصبية -مثل القبلية والأنانية- والشهوانية -مثل الأموال والنساء- كان عميق التدبر، ويتحصّل على ثمار غاية في الأهمية.

الركيزة الثانية: قوّة التفكير والتحليل

بما إنّ «كلمة التدبر تفيد معنى التفهّم والتعقّل والتأمّل في ما يحتوي على آيات القرآن الكريم... من أحكام وأوامر ونواه، وحكم وعظّات»^(٢٩)؛ لذا يتخذ المتدبر من التفكير أساسًا في سلوكه اليومي، فتراه لا يترك أمرًا إلا وتأمّل فيه -لكن يطيل

الدينية، فإننا قد ولدنا في بيت الأب والأم من المسلمين، وخرجنا لمجتمع مسلم، فكل شيء حولنا ينادي بالإسلام وبتعاليمه السمحاء.

أما أولئك -أي أصحاب الكهف- هم ناضلوا وتدبروا وقاسوا حتى اهتدوا إلى طريق الإيمان، والتسليم لرب العالمين؛ ولذا هذه هي نتيجة ذلك التدبر السامي.

أما نحن اليوم فعلينا التدبر للوصول إلى الإيمان بمستوى آخر، مثلنا نحن نؤمن برب العالمين وبنبيه المصطفى وبقرآنه المجيد، ولكن يختلط علينا الأمر في تحديد ولاة الأمر، أو تشخيص العالم الرباني، أو أن هذا طريق للشيطان أو طريق للرحمن، أو محاربتي أو تصالحي يكون مع من وكيف ومتى؟ وهكذا من المسائل الكثيرة التي تعترض حياتنا.

على ذلك، تكون أهداف التدبر كثيرة ومستويات متعددة، والذي يستطيع أن يُعمل فكره ويتأمل جيدا ويربط العناصر ربطا صحيحا مع بعضها، ويجعل هذه مقدمة لتلك، وهذا ناتج ذلك، يمكنه أن يحقق الهدف الذي يتحتم عليه السير وفقه، وكلما كان ساميا سما به.

المطلب الثاني: ركائز منهج التدبر لدى (أولي الألباب) وأجه تدبرهم

السعي للتعرف على منهج (أولي الألباب) أمر مهم؛ وذلك من ناحيتين:

الأولى: لإننا نتعرف بالتالي على مفاهيم القرآن الكريم وما يريده منا، فقد بيّن

تعطي فائدتها إلا بتدبر ما يقرأون، وعلى ذلك نجد تأكيد إسلامنا الأصيل على حثّ المسلمين أن يحاولوا الوصول لمستوى الفهم الناضج للقرآن الكريم وأحاديث المعصومين ع.

وما قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(٣٢) إلا إلزاماً لمن يتلو القرآن أن ينتفع به، فهذا ما يؤكد إمامنا الصادق ع في دعاء ختم القرآن الوارد عنه، حيث قال: «وَلَا تَجْعَلْ قِرَاءَتِي قِرَاءَةً لَا تَدَّبَّرَ فِيهَا بَلْ اجْعَلْنِي أَتَدَّبَّرُ آيَاتِهِ وَ أَحْكَامَهُ أَخِذًا بِشَرَائِعِ دِينِكَ وَ لَا تَجْعَلْ نَظْرِي فِيهِ غَفْلَةً وَ لَا قِرَاءَتِي مِنْهُ هَذْرًا»^(٣٣) ما يجعل الدعاء بمقام التنبيه للخاتمين: أن عليكم بلوغ التدبر في تلاوتكم، وإلا تكون بلا نفع واقعي.

إذ الاستعجال في ختم القرآن لا يرتضيه أئمة الهدى ع، فقد ورد «عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع أَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي لَيْلَةٍ؟ قَالَ: لَا يُعْجِبُنِي أَنْ تَقْرَأَهُ فِي أَقَلِّ مِنْ شَهْرٍ»^(٣٤) فالقرآن ليس جريدةً أخباريةً أو كتاباً ثقافياً، وإنما كتاب معجز أنزله الله تعالى ليكون دستوراً للناس في جميع شؤونهم، ولا يمكن الاستفادة الحقة منه بلا تدبر في كلماته، فعلى المسلم عندما يقرأ كتاب الله مستشعراً بالآيات ويضيء بها حياته.

من هذا ندرك أن تلاوة القرآن -وهكذا قراءة روايات المعصومين ع- تستلزم عدم التسرع، وإنما لابد من الاستفادة القصوى منها بالفهم والتحليل، وعلى القارئ

الإمعان في ما يراه مهما- معتمداً بالدرجة الأولى على إعمال عقله الفطري بأسمى إمكاناته وتوظيفه خير توظيف في تحليل هذه المسائل ومعالجتها، للوصول لأفضل النتائج الصحيحة.

الركيزة الثالثة: ممكن للجميع

هناك أمر مهمٌ علينا فهمه، إذ قوّة التدبر لـ(أولي الأبواب) لا ترتبط بالضرورة بسعة القراءة للكتب والمصنفات، أو بكسبها بالتحصيل الدراسي العالي، وإن كان ذلك مهم ويعد بمثابة مقومات رقي التدبر، أو من مقدماته، إلا أنه -واقعا- لا يتوقف عليها.

إذ جميع الناس مؤهلون للتدبر، بل ملزمون به بمقتضى قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(٣٥) ومع التدقيق في أسلوبها ومضمونها ندرك أنه «في هذه الآية الكريمة توبيخ عظيم على عدم اعطاء القرآن حقه من العناية والتدبر»^(٣٦).

فيتحصل أن المسلمين جميعاً بكل مشاربهم وثقافتهم ملزمون بممارسة التدبر في حياتهم اليومية، وقولي (ممارسة) لأن التدبر ليس من الأمور التنظيرية أو الفكرية البحتة، وإنما يُشكّل الفكر والتحليل جزءاً أساسياً منه، وعلى المُتدبّر القيام بما يصل إليه تدبره في يومياته، فهي تهيئ المناخ المناسب لتدبر فاعل.

من أوجه التدبر:

الوجه الأول: التدبر في النصوص

إنّ أهل التدبّر قد علموا أن القراءة لا

«أن ينهج نهج رسول الله في هذا الأدب العظيم، فيشغل قلبه بالتفكير في معاني ما يلفظ به، ويتأمل الأوامر والنواهي، ويعتقد قبول ذلك كله. فإن كان مما قصر عنه فيما مضى، اعتذر واستغفر. وإذا مرّ بأية رحمة: استبشر وسأل. أو عذاب: أشفق وتعوذ. أو تنزيه: نزه وعظم. أو دعاء: تضرع وطلب»^(٣٥).

إضاءة: التفريق بين التدبر والتفسير

لعل من المسلمات أن القرآن نزل ليفسره العلماء، وليداول ذلك أهل العلم، ويعرفه الناس، والحق أن ذلك بعيد عن الفهم الصحيح، إذ أن ما يدعو الله إليه عباده أن يكونوا متدبرين وليس مفسرين فحسب، إذ التفسير هو المرحلة الأولى التي لا يريدنا الله تعالى أن نتوقف عندها في تلاوتنا لكتابه المجيد، وإنما أن نمضي قدما مستفيدين من التفسير للتدبر في آياته وكشف أسراره واثارة هداه.

إذ الكتاب المجيد ليس صامتا، فقد قال الإمام الصادق ع: «لَقَدْ تَجَلَّى اللَّهُ لِخَلْقِهِ فِي كَلَامِهِ وَلَكِنَّهُمْ لَا يُبْصِرُونَ»^(٣٦)، وإنما القارئ يحيد بالنص عن نطقه وتجليه، بل قد يجعله بمثابة الميت الذي لا ينتفع منه، فلا شك أن للقرآن هدفاً من نزوله، الذي صرح الله به: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾^(٣٧) ولا يمكن للكتاب العزيز أن يكون هدىً بلا تدبر، فمعرفة التفسير تبين مجموعة من المعاني المجردة، والتي تستلزم استتباعها بمعرفة مآلها وعواقبها لتحقيق الهداية

التي أرادها سبحانه. ذلك كما يراد من المسلم الذي يقوم للصلاة، فيؤديها بحركاتها وأقوالها ثم لا يجعلها محافظة على سلوكياته، فلا ترتقي لمستوى الإقامة التي أرادها سبحانه بأمره ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾^(٣٨)، بذلك تسقط من الاعتبار الإلهي؛ حيث المفترض ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(٣٩)، عندئذ يتحقق ما يرجى منها، وإلا يبقى صاحب الفحشاء والمنكر يؤدي أشبه بالتمارين الرياضية، ولم يقم الصلاة العبادية.

لذا «تحتاج عملية التفكير بالقرآن وتدبره إلى التفسير بوصفه كاشفاً عن المقصد والمقصود من الآيات، والتفكير إنما يرمي بلوغ هذه المقاصد»^(٤٠).

الحق أن عدداً من العلماء وأهل التخصص وقعوا في عدم التفريق بين التفسير والتدبر، فقد ذهب السيد محمد باقر الحكيم إلى أنه «يمكن أن نميز بين التفسير الصحيح، الذي يعتمد على القرآن الكريم والسنة النبوية، والذي يمكن ان نسميه عملية (التدبر)، وبين التفسير الباطل الذي يطلق عليه اسم التفسير بالرأي»^(٤١) كيف ذلك فالتفسير الصحيح ليس تدبراً، إذ أن التفسير هو الكشف عن المعاني والدلالات فحسب، وهذا ما يرتأيه السيد الحكيم بنفسه حيث قال بما ملخصه: يطلق (التفسير) عند ابراز الظهور المعقد للنص، وتحديد معنى الكلام، إذ تعقده يستلزم الخفاء والغموض فيتطلب

الوجه الثاني: التدبر في خلق الله لا شك أن مما يثير المتدبر ويجعله في تأمل طويل النظر إلى كل ما يشاهده من خلق الله تعالى، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٤٩) فأدنى مخلوقاته سبحانه تثير التفكر في هندستها وعظمة خالقها، وتفتح للمتدبر أفقا واسعا يسأل ويربط العناصر ببعضها، ليحلل ويستنتج، وما زالت الاكتشافات العلمية والتقنيات الحديثة ترينا العجب العجاب فيما خلقه تعالى، حتى تحدى سبحانه البشرية جميعا بقوله: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٥٠) والحق أن التحدي فيما استطاع الإنسان أن يراه ويكتشفه، وهو يسير جدا مقارنة بما خلقه تعالى أو سيخلقه بمشيئته وحكمته.

ومن الغرائب التي عرضها القرآن أنه تعالى ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾^(٥١) فكيف لمادة سائلة لا يحسب لها قدر، أن ينشئ الله منها إنسانا له قوام وهيئة، حتى يصل به الغرور أن يقول: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾^(٥٢)! أليس هذا من العجائب التي تثير التدبر والتأمل؟

المطلب الثالث: نحو تطبيق معاصر على منهج (أولي الأبواب)

البحث العلمي الذي لا يرتبط بالواقع ويستفيد منه الناس إيجابا، لا يعد بحثا رصينا، وإن حوى المعايير العلمية

الكشف والإبانة، وأما الظهور البسيط فلا يحتاج إلى إظهار^(٤٢) وحتما هذا الكشف والبيان لا يكون تفسيرا صحيحا إلا إن ورد وفق الضوابط العلمية والموازن المعمول بها عند أهل التخصص والفن، التي على رأسها القرآن الكريم وروايات المعصومين (ع).

ومع احراز أن مفردة (التدبر) «مادتها (دُبر) وتعني ظهر الشيء، ومن ثم استعملت بمعنى التفكر والتفكير بعواقب الأمور، وذلك لأن عواقب الأمور ونتائجها تتضح بالتفكر»^(٤٣) حتى أنه ورد «عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص أَنَّهُ قَالَ: إِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ فَتَدَبَّرْ عَاقِبَتَهُ فَإِنْ كَانَ خَيْرًا فَاسْرِعْ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ شَرًّا فَانْتَهِ عَنْهُ»^(٤٤).

يتضح أن ما عليه المطلوب من كون (التدبر) «وسيلة لمعرفة التأويل أو النهايات والنتائج الواقعة لآياته»^(٤٥)، بهذا نفهم ما أراد سبحانه بقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(٤٦) حيث يعد سياق «الآية الكريمة توبيخ عظيم على ترك التدبر في القرآن»^(٤٧). وقد ثبت أنها «أوضحت أن التدبر هو هدف نزول القرآن كي لا يقتنع الناس بقراءة الآيات ككلمات مقدسة فحسب وينسوا الهدف الأخير منها»^(٤٨).

من مجمل هذا، نتحصّل أن (التفسير) المرحلة الأولى بمثابة المقدمة، تستلزم أن تكون نتيجتها (التدبر) الذي هو المرحلة الثانية، وأن القرآن الكريم أريد من نزوله الثانية، لا أن يقفوا عند الأولى.

المطلوبة، فهكذا ما صرح كتاب الله تعالى، الذي يعدّ أسمى كتابٍ علميٍّ على وجه الأرض، فما أنزله الله تعالى هو ﴿بَلَاغٌ لِلنَّاسِ﴾^(٥٣)، فأريد منه إبانة الطريق ﴿وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٥٤)، مع كونه درايةً ﴿وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥٥)؛ لذا لإتمام الفكرة وترسيخها، أبين تطبيق التدبر على منهج (أولي الألباب)، وحسب الآتي:

أ/ كيف يمكننا جعل الآيات محل تدبر؟

بما أن القرآن الكريم نزل لجميع الناس بلا استثناء، فالمتحصل أنهم -جميعاً- معنيون به، وعليهم تدبره، والانتفاع من آياته، ولكن عليهم إدراك أن كل صنف منهم سيجد ما يخصه في القرآن، فينهل من معينه، حيث «إن لآيات القرآن، أهلاً تطبق عليهم في كل عصر، فأية المتقين لها تطبيق حيٌّ كما لأية الفاسقين، فلا بد أن يبحث الفرد عن هؤلاء كلما تدبر في القرآن»^(٥٦).

فيتضح أن المؤمن له آياته، والظالم له آياته، وربّ الأسرة له آياته، وهكذا لكل صنف ومستوى ما يخصهم من آيات القرآن الكريم، ولا بأس - بل الأولى- أن يتأمل كل واحد بآيات الآخر، فيتأمل المسلم بما يخص المؤمن، وقليل الخير بكثيره، وهكذا، كي يسعى للانتفاع منها، ويتأمل فيها ليرتقي أو يحاذر، فلا يشعر أنه يتوجب عليه البقاء بما عنده وإنما يستزد ما وسعه ذلك.

من هذا نجد أنه سبحانه قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا

مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٥٧) ليحثّ المؤمنين على الالتحاق بالصادقين وأن يكونوا في ركبهم، «مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ع»^(٥٨) كما فسرهما الإمام الباقر ع، فالركب المبارك علي وذريته المعصومين ع، فيكون المؤمن في حياته متأملاً وساعياً لذلك، ولا يبقى فيما هو عليه، بل يرتقي بمراتب الإيمان، وبقينا أن بلوغ ذلك يعد علواً للدرجات يوم القيامة.

بذلك نتحصل أن «التدبر نعني به التفكير في الجانب التطبيقي للقرآن، وتجسيد تلك الآيات في الواقع العملي، أو هو استقصاء وبحث عن الآيات لتطبيقها على أنفسنا. وربما قد نقصد بـ(التدبر) هو القراءة العميقة في مقابل القراءة السطحية لإعطائنا البصيرة والرؤية السليمة في الحياة، ولا يكون ذلك بالقراءة السطحية»^(٥٩).

ب/ انتزاع القضايا التدبرية من يومياتنا

عندما نقرأ قول النبي ص: «رَبُّ تَالِ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ يَلْعَنُهُ»^(٦٠) يتبادر إلينا كيف يُلعن من يتلو القرآن؟! أليس يفترض أن يثاب وتنزل عليه البركات؟ كما هو ثابت بصريح الروايات الكثيرة.

لكن هذا التعجب يبده التأمّل في علاقة صاحب التلاوة بما يتلو، فإذا فهم ما يقرأه، وتدبره، وعمل بذلك، فيثاب. أما إذا كان يقرأ -مثلاً- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾^(٦١) وفعله فعل الظالمين، فلا مورد لفيض الله عليه، وإنما يُلعن؛ لأنه لم يجسد ما قرأه في يومياته.

ج/ ما يُعِين المُتَدَبِّر

هناك مقدمات وعوامل عدة لابد للمُتَدَبِّر تحصيلها لبلوغ الفائدة المرجوة، يمكن بيانها وفق موارد:
المورد الأول: ممَّا يعين قارئ القرآن على التَّدَبِّر

تلاوة كتاب الله حديث معه تعالى، فكما روي عن النبي ص «إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَنْ يُحَدِّثَ رَبَّهُ فَلْيَقْرَأِ الْقُرْآنَ»^(١٥) ويقينا المرء لا يجالس العلماء إلا وقام عنهم منتفعا، فكيف بمن يحدث الله تعالى؟ فلا بد أن يدرك قارئ القرآن أن الفائدة جزما حاصلة، ولكن بشرط معرفة السبيل لذلك، حيث قال أمير المؤمنين ع: «وَمَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بَزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ زِيَادَةٍ فِي هُدَى أَوْ نُقْصَانٍ مِنْ عَمَى»^(١٦)، ولكي نتحصل المورد المهم من تلاوة القرآن الكريم بتدبره، يتعين على القارئ -قدر الإمكان- القيام بالآتي:

- ١- أن يقرأ بعيدا عن الضجيج، وما يشتت البال عن تناول مقاصد القرآن ودلالاته.
- ٢- ألا يكون مشغول الفكر بشيء من أمر الدنيا، فهذا أدعى للخشوع والانتفاع.
- ٣- أن يبدأ قراءته بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، فإنها مطردة له.
- ٤- أن يحسن صوته بقراءته ما استطاع دون تكلف.
- ٥- أن يجتهد في الخشوع، ولا بأس بالبكاء، من غير تكلف.
- ٦- أن يستحضر أنه مخاطب بما يقرأ، فيسقط الآيات على نفسه.

هذا على صعيد الآيات، فكيف نتزج القضايا التدبرية من يومياتنا؟ في الواقع أن القرآن الكريم فتح للناس نافذة واسعة تغطي ماضي الأمم السابقة والمستقبل وتصوراته، والسماء والأرض وما فيهما، والحياة الدنيا وأحداث يوم القيامة، فكل شيء محل للتدبر والتحليل والتفكير، وعلى المؤمن أن يبذل جهده بإعمال عقله قدر المستطاع.

فالمؤمن الحق من يجعل القرآن فاعلا في حياته، لا أن يجعله ترنيمة يستأنس بها فحسب؛ لذا وصف الله قرآنه بأن فيه الحياة، إذ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾^(١٧) وهو قول «مطلق لا يأبى الشمول لجميع دعوته ص المحيية للقلوب»^(١٨)؛ لذا لزم أن نعد القرآن الكريم -بل وأحاديث المعصومين ع- ممَّا يُوجب حياة القلوب، وبدونها فالإنسان ميت القلب نورانيا وإن تحرك جسديا. إذ «أن من يهدف تفهم القرآن، يجب ان يجعله حيا نابضا بالحركة. وذلك عن طريق تطبيق آياته الكريمة على الواقع الخارجي. وهنا يتحوّل الكتاب المبين إلى منهاج عمل ليس هذا فحسب بل ويهدي الإنسان إلى حقائق كثيرة، لأنه يساعد الفرد على فهم الاحداث المعروفة، ويكون مثله أنثذ مثل المرشد في متحف للآثار. كيف لا تفيد رؤية المتحف بدونه كما لا يغني إرشاده دون رؤية الآثار»^(١٩).

٧- أن يجتنب ما يقطع تلاوته مما لا يتصل بها، ككلام الآدميين.

٨- أن يراعي أحكام الوقف والابتداء؛ كي لا يختل معنى^(٦٧).

فإن هياً هذه المقدمات كانت قراءته نافعة، وانتقل من حالة القراءة السلبية-الهدرية- إلى القراءة الإيجابية-التدبرية- مع استلزام اكمال التأمل والتحليل لتلك المعاني القرآنية، وصولاً لانتزاع المعاني السامية.

المورد الثاني: التدبر والصفات النفسية والعقلية

هذه الصفات يستلزم أن يتصف بها المتدبر، كي يحقق البيئة الداخلية المناسبة، وهي:

أ/ الصفات النفسية

هناك عدة صفات نفسية بها يستطيع المتدبر فهم الآيات المجيدة بتطبيقها على نفسه، أهمها:

١- الإيمان بالقرآن على أنه كتاب أوحى به الله رب السموات ليكون لعباده مبشراً ونذيراً، وهادياً إلى الحق باذنه وسراجاً منيراً^(٦٨). حيث أن «من المميزات التي تميز المؤمن عن غيره هو التدبر في القرآن الكريم، لأنه قد انفتح قلبه على القرآن، وغير المؤمن قد اقفل قلبه عن المعرفة والإيمان والعرفان»^(٦٩).

٢- الاستعداد لتطبيق آياته. إن هذه الصفة شرط مهم في فهم آيات الله إذ أن التسليم المسبق لنتائج البحث عن الحق يساعد النفس على البحث المجرد، كما أن

الاستكبار والتردد في قبول نتائج البحث العلمي يقلل من قيمة هذا البحث عند الإنسان وبالتالي يصرفه عنه^(٧٠). حتى يكون ذلك حافزاً «إذا تفكّر في سيئاته وما يترتب عليها من العقوبات والبعد عن الله، يدعو ذلك إلى الانتهاء عنها وتدارك ما أتى بها بالتوبة والتّدم»^(٧١).

ب/ الصفات العقلية

إن من أهم الصفات العقلية الضرورية للتدبر هي:

١- التركيز الفكري، إذ أن شعاع الفكر إذا ركّز عبر نقطة واحدة سوف يضاعف من فاعليته ويكشف الحقائق بوضوح، كما إن تركيز شعاع الشمس عبر زجاجة مقعرة هو الذي يسبب في تحويل هذا الشعاع إلى طاقة جبارة^(٧٢)، والحق أن لدينا مصنفات تفسيرية كثيرة جداً، لكن بعضها القليل فيه التدبر المثير للفكر والمحقق لنتائج سامية، مع أن «التدبر في آيات القرآن، والتفكير بمعانيه ومراميه، من أبرز سمات المفسر الهادف، فكل آيات القرآن تدعو إلى التدبر، وكل معانيه تستأهل التفكّر»^(٧٣).

٢- الشجاعة وقبول النتائج، فإذا تخلى المؤمن عن ذلك فقد الثقة بالنفس وتسبب في ترده بما وصل إليه بحثه وتفكّره، وهنا تبرز أهمية الشجاعة النفسية في قبول النتائج^(٧٤)، فإن تحليلنا بذلك صرنا قادرين على «أن نواجه آيات الكتاب من موقع المسؤولية النابع من وعي الحركة في العمق وامتداد الدعوة

وثورة الهدى»^(٧٥).

د/ نموذج تطبيقي (المؤمن التنظيري والمؤمن التطبيقي)

حينما وقع عليه ظلم وتجرد عن نصرته -مع قدرته على ذلك- فإنه يستدعي غضب الله تعالى ومقته له، لأنه أظهر خلاف ما يفعل.

من هذا ندرك أن كل أقوالنا يجب أن تحظى بمصداقية وموافقة لأفعالنا، فمن يحث الناس على فعلٍ لابد أن يكون قد التزم به، وإلا يترك الحديث في ذلك، وإن كان مما يرتضيه سبحانه.

فأولئك الذين تجرأوا على دس الأحاديث على لسان النبي ص فإن جزاءهم النار، بما ورد بالحديث المتواتر لفظاً عنه، فقد روى الإمام علي ع أنه قال: «لَقَدْ كَذَبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص عَلَى عَهْدِهِ حَتَّى قَامَ خَطِيباً فَقَالَ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(٧٨)» والملفت أن من أسباب الكذب، تحفيز الناس للقيام بأمرٍ حسنٍ، من قبيل تلاوة القرآن أو الاهتمام بالصلاة، فكان الكاذب يخلق الأحاديث لذلك، ولكن النتيجة واحدة، فجزاؤه النار.

عليه ندرك أن (التدبّر) يجعل المسلم يعيش جو الإيمان بتطبيقه، حينما يقف على الواقع الذي يعيشه، فينعكس على شخصيته وسلوكه باعتباره الوسيلة إلى المعرفة^(٧٩) فيتوجب على المؤمن أن يبتعد عن سخط الله، ويمعن في ما فعله في أيامه، فيجول في خاطره عن ما قاله وخالف به فعله، فلن يستفيد من النصّ الكريم، فإن الآيتين لا تختص بشخص دون آخر، وإنما قابلتا للانطباق على

الإيمان حالة نورانية تجعل صاحبها في صلة روحية عالية مع من يؤمن به، فإن أمره أطاع وأن نهاه انتهى، والذي يتبادر للذهن أن المؤمن هو من يتحلى بالصدق في قوله، وفعله مطابق لقوله، ولكن عندما نتدبر في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ~ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(٧٦) نستغرب من هذا الخطاب -لما فيه من شدة اللهجة- أنه موجه للمؤمنين وليس للكفرة أو الظالمين، إذ الله يعاتب بشدة هذه الفئة المؤمنة، التي يفترض إنها بلغت مستوى متقدم في الإيمان.

وإن كانت الآيتين المباركتين نزلتا في موضوع الجهاد وما حدث في غزوة (أحد)، لكن يستفاد أن «تستوعب كل قول لا يقترن بعمل ويستحق اللوم والتوبيخ، سواء يتعلّق بالثبات في ميدان الجهاد أو أي عمل إيجابي آخر»^(٧٧).

فيتحصل أن المؤمن إذا مرّ بهذا النصّ المبارك، يتأمل فيه ويدرك في قرارة نفسه: إن مجرد كوني من المؤمنين لا يعني عدم إمكانية مقت الله لي، وصرت بمنأى عن بغضه سبحانه.

فيجعله يحاسب نفسه ملياً، إذ لو أظهر -مثلاً- نصرته لأخوته المظلومين، ولا يقبل الأذى لهم. ولكن في الواقع تخلي عن فلان

فرد، وليس هو من الأصناف التي تتعلق ببعض الناس دون غيرهم؛ لذا تخلينا عن أسلوبهم في الحياة يحرمنا من منافع كثيرة.

- يمكن اتخاذ التدبّر طريقة لتحقيق الرؤية الأفضل في جوانب شتى في حياتنا، لكنه الأصل فيه أن يكون للجوانب الدينية، لا مسائل العلوم الصرفة، وإن كان حتما ناعفا فيها.

- إمكانية التدبّر متاحة لجميع الناس، بل مطلوب منهم أن يتدبّروا، وبهذا يتحتم على كسب الفوائد المرجوة منه أن يطوروا أدوات تدبّره، فهي تتوسع بحسب إمكانيات كل عصر وثقافته.

التوصيات:

مع كل ما عرفناه يمكن أن أذكر مجموعة من التوصيات ذات النفع في الدارين، أجمالها:

- وضع خطة حكومية شاملة لتثقيف الناس على ممارسة التدبّر في شؤون حياتهم، فبذلك يتم تبادلي وضعهم في نزاعات ومشاكل كثيرة، ويكونوا أكثر استقامة وصلاح.

- عقد مؤتمر دولي تخصصي في التدبّر ليبين كل متخصص بما لديه من فهم وأدوات رؤية في تطوير التدبّر وتعزيزه في المجتمع وبيان آليات الانتفاع الأفضل منه.

- حتّ رجال الدين والمسؤولين لفهم التدبّر بصورة جيدة، ثم توضيحه لرعاياهم ومجتمعهم، وتدريب الناس على القيام بممارسته في تفاصيل حياتهم.

الجميع متى ما تأملوا فيها وطبقوها على واقعهم. إذ لا بد من فهم «إنّ من أفضل الطرق لمعرفة القرآن ومعارفه: الأنس به والاستيناس معه والتدبّر في آياته، وهذا يوجب نورانيّة قلب الإنسان ووجوده ويحثّ الإنسان على أن يكون إنساناً قرآنيّاً ونورانيّاً»^(٨٠) فكلما جُلنا في آيات القرآن وعشنا جوها كلما انتفعنا بها وصارت أكثر هديا لنا، فالهداية ليست أمرا تكوينيا منه تعالى، وإنما تدبر وتحليل وتطبيق.

الخاتمة:

بعد ما مرّ في طيات هذا البحث ظهر لنا أنّ أصحاب العمق التدبّري، المعبّر عنهم بـ(أولي الأبواب)، يمثّلون نماذجا عاليا في التدبّر، إذ يجمعون بين التفكّر العقلي والخشوع القلبي. وقد أبرزت الدراسة منهجهم القائم على التعقّل والتأمّل، لجزئيات حياتهم، لتحقيق الوعي المطلوب في ما فيه صلاح أمرهم، ويمكن بيان الآتي:

النتائج:

يمكن استعراض جملة من النتائج التي أسفر عنها البحث، أهمها:

- التمعن في آيات القرآن الكريم مما يرشدنا إليه أن هناك نماذج متعددة تمت الإشارة إليها، كل واحدة لها صفاتها وطبيعتها وأهدافها، قد تكون خيرا إم شرا، وعلينا فهم ذلك والتخير فيما نقتدي به منها.

- أولوا الأبواب صنف أشير إليه قرآنيّاً، لتكون صفاته وأهدافه ضرورية لكل

الهوامش:

- ١- البقرة: ١٧٩.
- ٢- البقرة: ١٩٧.
- ٣- البقرة: ٢٦٩.
- ٤- آل عمران: ٧.
- ٥- آل عمران: ١٩٠.
- ٦- المائدة: ١٠٠.
- ٧- يوسف: ١١١.
- ٨- الرعد: ١٩.
- ٩- إبراهيم: ٥٢.
- ١٠- ص: ٢٩.
- ١١- ص: ٤٣.
- ١٢- الزمر: ٩.
- ١٣- الزمر: ١٨.
- ١٤- الزمر: ٢١.
- ١٥- غافر: ٥٣-٥٤.
- ١٦- الطلاق: ٨-١٠.
- ١٧- وقد زاد الشيخ جواد مغنية بقوله: «أصحاب العقول الخالصة النيرة». التفسير المبين، ص ٥٧.
- ١٨- فيتحصل أن (ستيفن ويليام هوكينج) - العالم بالفيزياء النظرية، وأبرز متخصص في الكونيات والثقوب السوداء- من أولي الألباب الذين مدحهم الله في كتابه. فهذا من سخاف القول؛ لأنه من الملحدين والمنظرين للالحاد، كما في كتابه (التصميم العظيم).
- ١٩- الكهف: ١٤.
- ٢٠- الكهف: ١٤.
- ٢١- الكهف: ١٤.
- ٢٢- الكهف: ٢٠.
- ٢٣- الكهف: ٢٠.
- ٢٤- الكهف: ٢٠.
- ٢٥- الكهف: ٢٠.
- ٢٦- ينظر: رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، ج ٥، ص ٢٩٧.
- ٢٧- المدرسي، محمدتقي، من هدى القرآن، ج ١، ص ٣١.
- ٢٨- الصغير، المبادي العامة لتفسير القرآن، ص ٤٥.
- ٢٩- العلاف، أديب، البيان في علوم القرآن ج ٢، ص ٣١.
- ٣٠- مُحَمَّد: ٢٤.
- ٣١- الحكيم، علوم القرآن، ص ٢٣.
- ٣٢- محمد: ٢٤.
- ٣٣- المفيد، محمد بن محمد، الإختصاص، قم، ط ١، ١٤١٣هـ ص ١٤١.
- ٣٤- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٦١٧.
- ٣٥- منصور، عبدالقادر، موسوعة علوم القرآن، دار القلم العربي، حلب، ط ١، بلا ت، ص ١١٤.
- وعن حذيفة «أنه صلى مع رسول الله، فكان يقول في ركوعه: سبحان ربي العظيم، وفي سجوده: سبحان ربي الأعلى، وما أتى على آية رحمة إلا وقف وسأل، وما على آية عذاب إلا وقف وتعوذ» سنن الترمذي، ج ١، الترمذي، ص ١٦٤.
- ٣٦- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١٠٧.
- ٣٧- البقرة: ١٨٥.
- ٣٨- الأنعام: ٧٢.
- ٣٩- العنكبوت: ٤٥.
- ٤٠- توفيق، خالد، فهم القرآن، ص ٨٤.
- ٤١- الحكيم، محمداقر، علوم القرآن، مجمع الفكر الإسلامي، ١٤٢٥هـ ص ٢٣٢.
- ٤٢- ينظر: الحكيم، محمداقر، علوم القرآن، ص ٢١٩.
- ٤٣- الشيرازي، ناصر مكارم، نفحات القرآن، ج ١،

- ص ٤٦. ٦٢- الأنفال: ٢٤.
- ٤٤- مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، ج ١١، ص ٣٠٧
- ٤٥- المدرسي، محمدتقي، من هدى القرآن، ج ٦، ص ٣٣٨.
- ٤٦- محمد: ٢٤.
- ٤٧- الخوئي، أبوالقاسم، البيان في تفسير القرآن، ص ٣٠.
- ٤٨- الخوئي، أبوالقاسم، البيان في تفسير القرآن، ص ٣٠. مع ضرورة ملاحظة الفرق بين التفكير والتدبر، حيث «أن التدبر تصرف القلب بالنظر في العواقب، والتفكير تصرف القلب بالنظر في الدلائل» العسكري، هلال، الفروق في اللغة، ص ٦٧.
- ٤٩- آل عمران: ١٩٠.
- ٥٠- لقمان: ١١.
- ٥١- النحل: ٤
- ٥٢- النازعات: ٢٤.
- ٥٣- إبراهيم: ٥٢.
- ٥٤- النور: ٣٤.
- ٥٥- البقرة: ٩٧.
- ٥٦- المدرسي، محمدتقي، من هدى القرآن، ج ١، ص ٦٦.
- ٥٧- التوبة: ١١٩.
- ٥٨- الكوفي، فرات بن إبراهيم، تفسير فرات الكوفي، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ط ١، ١٤١٠هـ، ص ١٧٣.
- ٥٩- الستراوي، عبد الشهيد مهدي، القرآن نهج وحضارة، ص ٣١٦.
- ٦٠- المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ، ج ٨٩، ص ١٨٤.
- ٦١- النحل: ٩٠.
- ٦٢- الأنفال: ٢٤.
- ٦٣- الطباطبائي، محمدحسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ٢، ١٣٩٠هـ، ج ٩، ص ٤٥.
- ٦٤- المدرسي، محمدتقي، من هدى القرآن، ج ١، ص ٦٦.
- ٦٥- السيوطي، جلال الدين، الفتح الكبير، ج ١، ص ٦٤.
- ٦٦- الشريف الرضي، محمد بن حسين، نهج البلاغة، ص ٢٥٢.
- ٦٧- ينظر: الجديع، عبد الله بن يوسف، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، مؤسسة الريان، بيروت، ط ٣، ١٤٢٧ق، ص ٤٦٥-٤٨٠.
- ٦٨- ينظر: المدرسي، محمدتقي، من هدى القرآن، ج ١، ص ٥٨.
- ٦٩- الستراوي، عبد الشهيد مهدي، القرآن نهج وحضارة، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٩٩٧، ص ٣١٦.
- ٧٠- ينظر: المدرسي، محمدتقي، من هدى القرآن، ج ١، ص ٥٩.
- ٧١- الكاشاني، الفيض، الحقائق في محاسن الاخلاق، ص ٣٠٨.
- ٧٢- ينظر: المدرسي، محمدتقي، من هدى القرآن، ج ١، ص ٦٠.
- ٧٣- الصغير، المباديء العامة لتفسير القرآن، ص ٤٥.
- ٧٤- ينظر: المدرسي، محمدتقي، من هدى القرآن، ج ١، ص ٦١.
- ٧٥- من وحى القرآن، ج ١٣، ص ١٠.
- ٧٦- الصف: ٢-٣.
- ٧٧- الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مدرسة الإمام علي بن أبي

- طالب، قم، ط١، ١٤٢١ هـ ج١٨، ص٢٧٧.
- ٧٨- الشريف الرضي، محمد بن حسين، نهج البلاغة، قم، ط١، ١٤١٤ق، ص٣٢٥.
- ٧٩- ينظر: الستراوي، مهدي، القرآن نهج وحضارة، ص٣١٨.
- ٨٠- تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم، مقدمة، ج١، ص٤٠.

قائمة المصادر والمراجع

❖ خير ما نبدي به القرآن الكريم

١. الآملي، حيدر، تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم، تحقيق محسن التبريزي، نشر نور على نور، قم، ط٣، ١٤٢٢هـ.
٢. الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق وتصحيح عبد الوهاب عبداللطيف، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.
٣. توفيق، خالد، فهم القرآن، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، طهران، ١٣٨٢هـ ش.
٤. الجديع، عبد الله بن يوسف، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، مؤسسة الريان، بيروت، ط٣، ١٤٢٧هـ.
٥. الحكيم، محمداقبر، علوم القرآن، مجمع الفكر الإسلامي، ط٣، ١٤١٧هـ.
٦. الخوي، ابو القاسم الموسوي (ت ١٤١٣هـ)، البيان في تفسير القرآن، ناشر دار الزهراء(عليها السلام)، بيروت، ط٤، ١٣٩٥هـ.
٧. رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.
٨. الستراوي، مهدي، القرآن نهج وحضارة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٨هـ.
٩. السيوطي، جلال الدين، الفتح الكبير، تحقيق يوسف النبهاني، دار الفكر، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.
١٠. الشريف الرضي، محمد بن حسين، نهج البلاغة، تحقيق صبحي صالح، ط١، ١٩٦٧م.
١١. الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب، قم، ط١، ١٤٢١هـ.
١٢. الشيرازي، ناصر مكارم، نفحات القرآن، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب، قم، ط١، ١٤٢٦هـ.
١٣. الصغير، محمد حسين علي، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، دار المؤرخ العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.
١٤. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٢، ١٣٩٠هـ.
١٥. العسكري، هلال، الفروق في اللغة، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ط١، ١٤١٢هـ.
١٦. العلاف، أديب، البيان في علوم القرآن، مكتبة الفارابي، دمشق، ط١، ٢٠٠١م.
١٧. فضل الله، محمد حسين، تفسير من وحي القرآن، دار الملاك للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ.
١٨. الكاشاني، الفيض، الحقائق في محاسن الاخلاق، تحقيق وتصحيح محسن العقيلي، دار الكتاب الإسلامي، قم، ط٢، ١٤٢٣م.
١٩. الكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ)، الكافي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٤، ١٤٠٧هـ.
٢٠. الكوفي، فرات بن إبراهيم، تفسير فرات الكوفي، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، مؤسسة الطب والنشر، طهران، ط١، ١٤١٠هـ.

- ٢١.المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي (ت ١١١٠هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار(عليهم السلام)، الطباعة والنشر مؤسسة محمد باقر بن محمد تقي، من هدى القرآن، ١٤١٣ ق.
- ٢٢.المدرسي، محمد تقي، من هدى القرآن، نشر دار محبي الحسين(عليه السلام)، طهران، ١٤١٩ هـ.
- ٢٣.مغنية، محمد جواد، التفسير المبين، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط٢، ١٩٨٣م.
- ٢٤.المفيد، محمد بن محمد، الإختصاص، قم، ط١، ١٤١٣ ق.
- ٢٥.منصور، عبدالقادر، موسوعة علوم القرآن، دار القلم العربي، حلب، ط١، بلا ت.
- ٢٦.النوري، حسين، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.